

## كافية إبراهيم البدوي في التدبر لمخلوقات الله : دراسة تحليلية

شعيب علي دكو

### Abstract

*This paper described the poem of Ibrahim Albadawi, which showed its significance in the Islamic world in bringing out clearly the Arabic grammar and vocabulary it contained. The poem vividly captured and described the oneness of Allah and wonders of His creatures on earth. References and notable examples were made to show the absolute reliance of these creatures to Allah for their sustenance and livelihood; as all being are mortal. This paper concludes that poem of this nature are very pertinent and significant in maintaining and improving one's faith and other Islamic beliefs.*

### المقدمة

كان الأدب يتجسد فيه روح الحياة وينبض منه المعاني والايقاعات لكل عصر من العصور حتى يعطي صورة تكون مرآة لذلك العصر ويكون نموذجا واضحا لتلك الفترة المحددة، وهذه الدراسة عبارة عن محاولة الباحث في تحليل منظومة الشاعر إبراهيم البدوي أو البديوي السوداني المصري التي احتوت على صورة بديعة لصنع الباري اللطيفة الخالقة من الديان لاشك هذه القصيدة فريدة من نوعها وهي ميزان العقول ومكيال القلوب، وصاحب القصيدة من أبناء القرن العشرين، حيث كان للأدب صرخة شامخة، وتطور كبير الذي كسى ومر عبر عصور مختلفة، منها العصر الذهبي في الأندلس الذي كان قريب العهد بهذه القارة، زمنيا وجغرافيا، وتحتوي المقالة – بعد المقدمة- على المحاور التالية:

- التعريف بالشاعر

- دراسة القصيدة

- الجمال الفني

- الخاتمة

### التعريف بالشاعر

هو الشيخ إبراهيم بن علي البديوي، ولد عام 1908 م<sup>(1)</sup> بمركز حوش عيسى محافظة البحيرة بالسلطنة المصري، التحق بالكتاتيب وهو بالخامسة من عمره وأتم حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الدينية عام 1920 م وحصل على شهادة العالمية من كلية اللغة العربية عام 1935 م.<sup>(2)</sup>

المناسب التي تقلدها: عين مدرسا للأدب العربي بمعهد طنطا الأزهرى عام 1937 م، ورتق وكيلا للمعهد عام 1954 م عين شيخا لمعهد دسوق الأزهرى عام 1959 م،<sup>(3)</sup> ثم أصبح شيخا للمعهد الدينى بالإسكندرية وشيخا للعلماء الإسكندرية عام 1962 م

أختير بعد بلوغه سن التقاعد مستشارا لمحافظة البحيرة للشؤون الدينية ورئيسا لجمعية شبان المسلمين بالبحيرة ورئيسا للجمعية الشرعية . توفي عام 1983 م.<sup>(4)</sup>

### دراسة القصيدة

هذه الكافية تتكون من تسعة وستين بيتا وهي موشحة ومزينة بمعاني الكونية ومقادير إلهية، تحدد مالك هذا الكون، وخالقه ومدبره، من فوق العرش، ويرى الإنسان مصيره ومبدئه. نسق الشاعر معاني متعددة ولون الأساليب الرشاقة ونظم الأبيات تنظيما دقيقا، وأعجب ما يكون في القصيدة كل بيت مستقل بنفسه ويعطي معنا كاملا دون اسناده إلى غيره، هذا يدل على أن الشاعر متأثر بشعراء العصر الجاهلي حيث يكون كل بيت حاملا رسالة مستقلة دون الحاجة أو اللجوء إلى بيت آخر يسانده. فقال :

بك أستجير ومن يجير سواكا      فأجر ضعيفا يحتمي بحماك  
إني ضعيف أستعين على قوى      ذنبي ومعصيتي ببعض قواكا  
أذنبت ياربي وأذنتني ذنوب      مالهـا من غافر إلا كا

هذه الأبيات تتمتع بمطلع إيماني قوي حيث أبدى الشاعر التصاقه برب العزة واللجوء إليه لجوعا كاملا فاعترف بضعفه وأنه مضطر لحمايته تعالى وأنه هو الحامي لعباده وخلقه والكون طرا، لو نظرت أدركت أن البيت يتفرد لمعناه لنفسه والشاعر بدأ مطلع هذه القصيدة دون تأدب بأسلوب إسلامي كما كان معتادا للشعراء الإسلاميين قديما وحديثا وإن كان الشاعر وحد الله تعالى ومجده ولكن لم يقارن مطلعته بالصلاة على النبي ﷺ ولا صحابته مما يدل على أن المطلع خال تمام من مطلع إسلامي. والشاعر في هذا المشهد أخذ خاصية البصر وجعله في الميزان وأنه تعالى يدرك الأبصار وعيون العباد قاصرة الإدراك لذاته لأن ضوئية المقلة محدودة ولا يمكن أن تجاوز العين تلك المدى ولا مدى أو تحديد لإدراكه تعالى فقال:

يا مدرك الأبصار ، والأبصار لا      تدري له ولكنه إدراكا  
أتراك عين والعيون لها مدى      ما جاوزته ، ولا مدى لمداكا  
إن لم تكن عيني تراك فإنني      في لئل شيء أستبين علاكا

جزم الأديب قائلا إنه لم يكن يرى الرب بعين المجردة، بل كان يراه من خلال صنيعه وعمله ويعلم علو رفعتة وحكيم بديعه في كل شيء كما قال الشاعر.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد<sup>(5)</sup>

السر المتواجد في هذه القصيدة هـ و هزة شعورية ووقفة إيمانية ترتل صدق الفني الغرامي العجيب، حيث أن أطراف القصيدة تنادي بمزامير نغمية كاشفة سر الحياة وحقيقة العمر، وتتجلى رسالة الكون من خلال جمل بسيطة فعلية كانت أو اسمية أو مبتدأ وخبر، كما سيتضح في الأبيات التالية، مؤكدة اللطائف ربانية تلمس من خلال نظرة دقيقة تدرك بإمعان، فقول الشاعر بعد النداء "يا منبت الأزهار ، "ويا مرسل الأطيوار، "ويا مجرى الأنهار تلك جذبة انتباهية قوية تلفت عقول السامعين فقال:

يامنبت الأزهار عاطرة الهشدا هذا الشذا الفواح نفع شذاكا  
يامرسل الأطيار تصدح في الربا صدحاتها إله —ام من فحواكا  
يامجري الأنهار : ما جريانها إلا انفعـالة قطـرة لنداكا  
كل العجائب صنعة العقل الذي هو صنعة الله الذي سـواكا  
والعقل ليس بمدرک شيءـا إذا مالله لم يكتب لـه الإدراكا  
لله في الأفاق آيات لـعـل أقـلها هو ما إلیـه هداكا

تناول الشاعر في الأبيات الثلاثة الأخيرة نقطة حساسة وبرهنا ببهان يؤكد وحدانية الله تعالى حيث تداول العقل، ونظره بمنظار الفطرة، وهو صنع عجيب ولا ادراك له إلا ما كتب الله له من الإدراك واللاحاق، واستمر قائلا كان لله أنواعا أخرى من الآيات في الكون وأقلها ما هداك إليه بالعقل السليم والفطرة المتميزة .

فالشاعر في هذه الخطوة أراد أن يلقي تساؤلات حول الخلق ليغطي إحساس ضميره ويشفي غليل فؤاده حتى يتمكن من خلق الجو الفطري خلال شعره ونغمات قصيدته التي تعطي مزمارا مناسبا وموسيقا غنيا يكفي أن تعد من قياس الإجابة فقال:

قل للطبيب تخطفته يد الردى أشافي الأمراض: من أرداكا؟  
قل للمريض نجا وعوفي بعد ما عجزت فنون الطب: من عافاكا؟  
قل للصحيح يموت لا من علة من بالمنيا يا صحيح دهاكا؟  
قل للبصير وكان يحذر حفرة هوى بها من ذا الذي أهواكا

الأبيات كلها قائمة لكل من الطبيب والمريض والصحيح والبصير من الذي أرداك يا طبيب ومن الذي آفاك يا مريض؟ ومن الذي دهاك يا صحيح؟ ومن الذي أهواك يا بصير؟ لا شك مهما حاولت أن تخفي لفظ الجلالة في هذه الأسئلة وستكون قاهرا على ذكره رغم أنف الكاتب والقارئ والسامع هو الله الصمد.

على رغم تفقد الشاعر ثنانيا الكون وتتبع جلائل قدرة الله تعالى بأسلوب أدبي وقياس ثقافي رفيع حيث تمكن من دمج محتويات الأطراف وسردها سردا نموزجيا في القصيدة فتساءل قائلا: لما ترى الثعبان يرمي بشرارة السم من فيه ومن الذي هو وقاه من السموم وكيف يعيش بالسم القاتل في فمه فقال:

وإذا ترى الثعبان ينفث سمه فاسأله: من ذا بالسموم حشاكا؟  
واسأله كيف تعيش يائعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاكا؟  
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاكا؟  
بل سائل اللبن المصفي كان بين دم وفرث ما الذي صفاكا؟

أبدع الشاعر في الأبيات السابقة حيث يعبر عن قدرة فريدة، وآية تبرر ألوهيته وقدرته تعالى على الخلق والإيجاد في المعمورة، ثم استمر الشاعر يسأل بطون النحل كيف يملعها شهدا، وأصبح سكر حلو، وطعاماً جميلاً، لا مذاقاً مرأولاماءاً طبيعياً، كونها تتناول شتى الأثمار والأزهار والحشائش في الغابة والوديان، ومع ذلك يكون حلو الطعم والمذاق، ودواء شافي لشتى

الأمراض والعلل، تلك وحدانيته الفريدة، وقدرته الميسورة، ورحمته الواسعة، ثم يقول الشاعر متحدثاً عن الصنع الإلهي الواحد في اللبن المصفى الذي يخرج بين الدم والفرث، من الذي قام بهذا العمل إنه هو الله تبارك وتعالى.

وإذا رأيت النبت في الصحراء يربو وحده فاسأله : من أرباكا؟  
وإذا رأيت البدر يسري نــــ اشرا أنواره فاسأله: من أسراكا؟  
واسأل شعاع الشمس يدنو وهي أبعد كل شيء ما الذي أدناكا؟  
قل للمير من الثمار من الذي بالمر من دون الثمار غذاكا؟  
وإذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسأله: من يانخل شق نواكا؟  
وإذا رأيت النار شــــب لهيبها فاسأل لهيب النار: من أوراكا؟

تابع الشاعر شمعة نورانية وقدرة إلهية في صنيع الكون وصارت القصيدة إشارة تعجيزية للخلق فالنبت في الصحراء والبدر الساري وشعاع الشمس الداني البعيد من كوكب الأرض والثمار المر والتمر المشقوق النوى، وكذلك شب لهيب النار فتساءل من أربى النبت في الصحراء القاهلة التي لاماء فيه ومن أسرى البدر بأنواره الزاهية وكذلك كان الأمر لكل من الشمس والثمار والنخيل والنار .

بعد ما صرح الشاعر ما يجول في ضميره ويحويه فؤاده عن خلق الله والمعجزة الكونية التي آياتها تمر على كل إنسان وتقدم عليه بقدم الليل أو النهار، فصار من الطبيعي الإنتباه لمرور الآيات، والعبر التي تعطي الإنسان ثقة نفسية والانتباه متميز فقال:

وإذا ترى الجبل الأشم مناطحاً قمم السحاب فسله من أرساكا؟  
وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال جرى فسله؟ من الذي أجراكا؟  
وإذا رأيت البحر بالملح الأججاج طغى فسله: من الذي أطغاكا؟  
وإذا رأيت الليل يغشى داجيا فاسأله : من يا الليل حاك دجاكا؟  
وإذا رأيت الصبح يُسفر ضاحياً فاسأله: من ياصبح صاغ ضحاكا؟  
هذي عجائب طالما أخذت بها عيناك وانفتحت بها أذناكا!  
والله في كل العجائب ماثل إن لم تكن لتراه فهو يراكا؟

فتكلم عن الجبل والبحر والنهر والليل والصبح ، ليرد ألفة السامع وديدنة الحياة لأن ذلك العالم يعيش الإنسان حولها يتلقى رسالة الإحساس والشعور معا في كل وقت وحين مما يرمز إلى معاني طبيعية كونية ناطقة له زوال الأيام ومد اهمة الوقت له وفوت الفرص التي يلزم استغلاله والتأكد من استخدامها في أدق صورة وأجمل مثالا يجني ثمار ذلك في دنياه عن أخراه.

الجمال الفني

أما لجمال الفني، فتلك الصفات التي تتميز بها القصيدة، وتزين كل عمل أدبي سواء كان شعراً أو نثراً، ويعطي إعجاباً كبيراً وشعوراً خاصاً في المسامع. ذلك بحسن التشبيه، والاستعارة، والتصوير، والكناية، وتطبيق القواعد النحوية، وبحسن سرد القصص بحيث يعطي جمالاً فنياً ملائماً. والشاعر يطلب منه قوة الإحساس والتطلع إلى الأشياء الدقيقة والجليلة بحيث يشبهها ويصفها، وبالتالي يخرجها للسامعين والدارسين بتلك السمات الفنية الجميلة المتكاملة.<sup>(6)</sup>

ومن هذا المنطلق ندرك أن القصيدة تحكي آثار الجمال والمشاعر المذاق من نغماتها وجرسها، ويكمن فيها الجودة الشعرية، والقيمة الأدبية. وفي هذا المظهر نحاول قدر الإمكان أن نظهر الصورة البلاغية مما يمس البيان، والمعاني، والبديع، وبالأمثلة تتجلى تلك المظاهر التي زين الشاعر بها قصيدته.

### المجاز

المجاز في اللغة فهو مصدر ميمي من جاز الشيء جوازا إذا تعداه، وفي الاصطلاح هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي،<sup>(7)</sup>

لقد زين الشاعر البيت التالي بلسلوب المجاز حيث تكلم عن الزاد والرحلة، وبلمعنا النظر نجد أنه يتأسف لخروجه من الدنيا وفهمنا أن الشاعر يتكلم عن المعنى البعيد وليس سفر الظاهر القريب فقال:

ونسيت حبي واعتزلت أحبتي      نسيت نفسي خوف أن أنساكا  
ذقت الهوا مرأ ولم أذق الهوى      يارب حلواً قبل أن أهواكا  
جزد الشاعر نفسه ليعبر عن المجاز فنسي نفسه من شدة الرعب أن ينسى خالقه فينزلق له العمر وبهويه في الغي والضلال المبين.

### الخاتمة

هذه الجولة الأدبية تمضي قدماً لتتبرق الطريق وتؤكد ما للأدب من الجمال، وأنه ميدان يصلح للجميع، حيث الأبيات تقرأ آيات العزاء للدنيا حيناً وتبرهن قدرة الخالق حيناً آخر، فالأبيات كلها ناطقة لصنع الباربي وقدرته، وتنادي العقل إلى فطرته وإدراك كنه المولى، والإعتراف بحكيم صنيعه حق الإعتراف والإجلال، كان الأدب في الماضي والحاضر لغة وأخلاقاً، سلوكاً وبيئة، وتقاليده، أدوات وفطرة، دين ودولة، دنيا وأخرى ومثيل هذا الشاعر- أحمد شوقي - أمير الشعراء في قوله:<sup>(8)</sup>

تلك الطبيعة قف بنا ياساري      حتى أريك بديع صنع الباربي  
والأرض حولك والسماء اهتزنا      لروائع الآيات والأثاري  
من كل ناطقة الجلال كأنهالا      أم الكتاب على لسان القاري

فالدراسة عبارة عن المقدمة والتعريف بالشاعر، ثم دراسة الأبيات والجمال الفني ثم الخاتمة.

المراجع والهوامش

- 1 - سعيد أبوبكر موسى، الموازنة بين شعر الشيخ عبد الله بن فودي وشعر شيخ محمد البخاري أمير تمبول، دراسة أدبية نقدية، رسالة الماجستير، قدمت إلى شعبة اللغة العربية، قسم اللغات نيجيريا وإفريقية، جامعة أحمد بلو زاريا، للحصول على شهادة ليسانس، 2004 م، ص: 109.
- 2 - فضل حسن عباس، (الأستاذ الدكتور) البلاغة: فنونها وأفنانها، دار النفائس، ط 2، 2009 م، ص: 154.
- 3 - [www.alsultan.com](http://www.alsultan.com)
- 4 - المرجع السابق
- 5 - المراجع السابق
- 6 - المرجع السابق
- 7 - حسن أحمد محمود، (الدكتور) الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا طبعة دار النهضة، ج/ 1 دون ذكر التاريخ الطبع.
- 8 - حسن شاذلي فرهود وآخرون (الدكتور)، 1401 هـ 1981 م، البلاغة والنقد، الرئاسة العامة لتعليم البنات، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة.
- 9 - حسن بن بشر بن يحيى الأمدي (أبو القاسم)، الموازنة بين شعرا أبي تمام والبحتري " 2006 م، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف القاهرة،
- 10 - حنا الفلخوري، 1964 م، الجديد في الأدب العربي، منشورات مكتبة المدرسة بيروت لبنان ط/3 .
- 11 - ابن خلدون عبدالرحمن، 1993 م، المقدمة، داركتب العلمية بيروت لبنان ط/1.
- 12 - درما محمد ثاني خامس، 1984 م، أمير المؤمنين محمد بلو وتحقيق ديوان إفادة الطالبين، رسالة قدمت في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، لنيل شهادة الماجستير، في اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو.
- 13 - دريم حسن، دروس مختصرة في علم العروض، دروس غير مصنفة، المكتبة الشاملة، دون ذكر التاريخ والطبع
- 14 - ابن قتيبة دينيري، محمد، الشعر والشعراء، القاهرة ط دارالمعارف، دون التاريخ.
- 15 - رجب عبد الجواد إبراهيم، (الدكتور) 2003 م، موسيقى اللغة: دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 2.
- 16 - سليمان بن بنين بن خلف بن عوض، تقى الدين المصري، 1985 م، إتقان المباني وافتراق المعاني، دار عمار. عمان ط/1.